المحاضرة السادسة:

النّقـــد الاجتمـــاعي

تمهيـد:

لقد توافرت العديد من العوامل والظّروف التي ساعدت على على انتشار النّقد الاجتماعي عند النّقّاد العرب، وهيّأت الأرضية الصّلبة السّياسية والاجتماعية والثّقافية لاستقباله، فكيف تعاطى النّقد العربي المعاصر مع مصطلحات المنهج الماركسي؟ وهل كان على وعي تامّ بهذه المصطلحات النّقدية أثناء فعل الممارسة؟

سنحاول –من خلال هذه المحاضرة–الوقوف عند العلائق الموجودة بين مصطلحات النّقد الماركسي في النّقد العربي أثناء فعل الممارسة وفعل المثاقفة الثّقافية؟

أولا: مفهومه وأصوله:

يُعدّ النّقد الاجتماعي من الآليات الضّرورية في العملية النّقدية، وقد انبثق من المنهج التّاريخي بمعنى أنّ المنطق التّاريخي كان هو التّأسيس الطبيعي للمنطق الاجتماعي عبر محوري الزّمان والمكان.

وهو منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة، لأن المجتمع هو المنتج الحقيقي للأعمال الإبداعية، ويجمع الباحثون أنّ البوادر الأولى للنّقد الاجتماعي بدأت منهجيا منذ أن أصدرت (مدام

دي ستايل) عام 1800م كتابها (الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية)، فقد تبنّت فكرة أنّ الأدب مرآة المجتمعات.

ويمكن إدراج المطارحات التي قام بها النّاقد (هيبوليت تين) قي كتابه (تاريخ الأدب وتحليله، عام 1863م من أحد أهمّ النّماذج التّطبيقية في مساءلات الأدب.

ثانيا: ملامح النّقد الاجتماعي عند العرب:

اعتمد بعض النّقّاد المنهجَ التّوليدي في تحليل ظواهر الأدب العربي، من أبرزهم:(الطّاهر لبيب) رئيس جمعية علماء الاجتماع العرب، وقد تناول بالدّراسة والتّحليل ظاهرة الغزل العذري في العصر الأموي من حيث تعبيرها عن رؤية العالم لفئة اجتماعية معيّنة، حاول فيها أن يقيم علاقة بين ظاهرة الغزل وبين طبيعة الأبنية الاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء الشعراء، ومدى نجاحهم في تقديم رؤية للعالم تعبّر عن واقعهم الاجتماعي.

ثمّ حدث تطوّر في مناهج النّقد الأدبي، ممّا أدّى إلى نشوء علم جديد هو (علم اجتماع النّص) يعتمد على اللّغة باعتبارها الوسيط الفعلي بين الأدب والحياة، فهي مركز التحليل النقدي في الأعمال الأدبية، فاتّخاذ اللّغة منطقة للبحث النّقدي في علم اجتماع النّص الأدبي هو الوسيلة لتفادي الهوة النّوعية بين الظّواهر المختلفة.

لقد استطاع هذا المنهج تجاوز ماوجّه (لرؤية العالم) من نقد، إذ ليست سوى رؤية فكرية وذهنية وفلسفية، فعلم اجتماع النصّ تصوّر لغوي يرتبط بجذور الظّاهرة الأدبية، ونجد النّاقد (بيير زيما) في

كتابه (النّقد الاجتماعي) يتميّز من خلال عرضه الاتّجاهاتِ التي سبقته، ثمّ أهمّ الصّعوبات والانتقادات التي وجّهت إليها، ثم يقترح تصوّرا أكثر نضجًا في سوسيولوجيا الأدب المنهج الاجتماعي في النّقد العربي.

لقد تلقى النقاد العرب هذا المنهج وخصوصا عندما شهد تطورات اجتماعية وسياسية تمثلت في حركات التحرر القومي، فطبق في كتابات رواد الحركة الأدبية الحديثة في مصر مثل مافعل " طه حسين" الذي صور بعناية خاصة المجتمع العباسي من خلال دراسته لبعض شعراء هذا العصر، أمثال "المتنبي والمعري"، إذ لم يقتصر اهتمامه بقضايا المجتمع وطبقاته عند هذه الحقبة الزمانية فقد تجاوزها إلى العصر الحديث بتصويره للمجتمع المصري قبل ثورة 23يوليو وماكان يعانيه من تفاوت طبقي من خلال كتابه " المعذبون في الأرض"، كذلك نجد " توفيق الحكيم" الذي دسد المنهج الاجتماعي في كتاباته " يوميات نائب في الأرياف" الذي صور فيه كثيرا من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع المصري قبل ثورة يوليو 1952 وصور ذلك التفاوت الطبقي ، كما عبر عنه أيضا في مقالة موسومة ب" الأدب خادم للجماعة حافظ للقيم"، وأيضا من خلال مقال تحت عنوان "الأدب طريق إلى إيقاظ الرأي" فيعلن مهمة الكاتب ليست إمتاع القارئ فقذ بل في التفكير معه .

باختصار؛ لم يكن لهذا النّقد رواد بارزون يربطون بين الإنتاج المادّي والإنتاج الأدبي، كما يوجد في روسيا، غير أنّنا نجد بعض الدّعوات إلى الاهتمام بالاتّجاه الاجتماعي في النّقد الأدبي عند **شبلي شميل، وسلامة موسى، وعمر الفاخوري**، وقد اقترب هذا المنهج من المدرسة الجدلية عند **محمود**

أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، ولويس عوض، حتّى كان تجلّيه في النّقد الأيديولوجي عند **محمد مندور**.

لقد عمل النقد الاجتماعي على تسليط الضوء على الأبعاد الحقيقية للواقع في الأعمال الأدبية، وقد عرفه الغرب أولا ثم تأثر به النقاد العرب، فالأدب الاجتماعي هو فرع من الأدب وليس كل الأدب.